دراسة نقدية
في نص شعري لأبي محجن الثقفي

للأستاذ الدكتور/ على محمد طلب
أستاذ الأدب والنقد ووكيل الكلية

التعريف بالشاعر وشعره(١) :

هو أبو محجن عبد الله بن حبيب بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة ابن عنزة بن عوف وهو من ثقيف ، وقيل اسمه عبد الله بن حبيب بن عمرو ابن عمير بن عقدة بن غيرة بن عوف بن قيس الثقفى ، وهو من الشعراء المخضرمين أدرك الجاهلية والإسلام ، ويعد من الشعراء المجيدين على قلة ما قال من الشعر ، أو روى عنه ، وكان بطلا فارسا شجاعا ، وقد أسلم مع قبيلة ثقيف حين أسلمت فى السنة التاسعة من الهجرة ، ولكنه مع بطولته وشجاعته وفروسيته ، كان مولعا بشرب الخمر مقبلا على الشراب إلى حد كبير لدرجة الجنون ، ومن شعره فى الخمر(٢) :

إذا مت فادفنى إلى جنب كرمة
تروى عظامى بعد موت عروقها

---

(١) انظر فى ترجمة الشاعر : الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى ١/١٩ وما بعدها ، وتاريخ الطبرى لمحمد بن جرير الطبرى ٥٤٨/٣ وما بعدها ط دار المعارف بالقاهرة ، والسيرة النبوية لابن هشام ١٠٠/٤ وما بعدها ط الكليات الأزهرية بالقاهرة ، وشذرات الذهب للمسعودى ٨٥/٧ وما بعدها ط بولاق القاهرة ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ٤٢٣/١ وما بعدها ط دار المعارف القاهرة ، وشاعر القادسية أبو محجن الثقفى للدكتور / رفعت التهامى عبد البر صـ ٢ وما بعدها ط التركى بطنطا .

(٢) ديوان أبى محجن الثقفى تحقيق الدكتور / صلاح الدين المنجد ص ٤٨ ط دار الكتاب الجديد بيروت ١٩٧٠ .

ولا تدفنى بالفـــــلاة فـإننى
أخاف إذا ما مت أن لا أذوقها
أباكرها عنـد الشروق وتـــارة
يعاجلنى بعـد العشى عبوقها(٣)
وللكأس والصـبهاء حـق منعم
فمن حقها أن لا تضـاع حقوقها

وكان لا يصبر عن شرب الخمر ، وحده أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ولكن الجلد لا يثنيه عن الخمر ، فقد تمكنت منه ، فيتكرر الحد عليه عدة مرات ، فيأمر عمر بن الخطاب بنفيه إلى جزيرة نائيـة فى البحر يقال لها (حضوضى) ، وفى ذلك يقول(٤) :

وإنى لذو صبر وقد مات أخوتى ولست عن الصبهاء يوما بصابر

ولقـد كتبت مقـالا عن الشـاعر أبى محجن الثقفى فى جريدة (الجزيرة) السعودية بعنوان (عهد وميثاق وفروسية نادرة) وبينت فيـه كيف هرب من منفاه وانضم إلى المجاهدين فى القادسية ، وكيف عاهد الله تعالى على ترك شرب الخمر ، وكيف وفى لزوجة سعد بن وقاص قائد جيش المسلمين فى القادسية بأن وضع القيـد فى رجله آخـر الأمر بعـد اشتراكه مع المجاهدين فى سبيل الله وأبلى بلاء حسـنا ، وذكر جزءا من المقال الذى أقول فيه : « التاريخ يذكر لنا تلك الصفحات

---

(٣) الغبوق : شرب العشى ، والصبوح : شرب الغداة .
(٤) ديوان أبى محجن الثقفى ص ٥٢ .

المشرقة والبطولات الرائعة لفئة من الناس وضعت أرواحها على أكفها احتسابا لله تعالى ، كما يسجل بسالتهم وإقدامهم وفروسيتهم بأحرف من نور ، وقد آلوا على أنفسهم التضحية بكل غال وعزيز فى سبيل المبدأ والعقيدة دفاعا عن دين الله لتعلو راية الحق والصدق والإيمان فوق كل مكان ، ويندحر الظلم والطغيان إلى غير رجعة ، تأكيدا لقول الله تعالى : « وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم »(٥) .

ومن هؤلاء الفرسان المغاوير الشاعر المخضرم أبو محجن الثقفى ، وقد أسلم مع قبيلته ثقيف فى السنة التاسعة من الهجرة ، وكان فى جاهليته وإسلامه بطلا شجاعا فارسا ، ولكنه مع بطولته وشجاعته كان يزل فيشرب الخمر ، وقد غضب عليه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعد أن أقام عليه الحد ، ونفاه إلى جزيرة نائية يقال لها « حضوضى » (وكانت عادة العرب فى الجاهلية أن تنفى إليها خلعاءها) وبعث معه رجلا هو ابن الجهراء ومعه رجل آخر ، واستطاع أبو محجن بالحيلة والدهاء أن يتغلب على ابن الجهراء وصاحبه ، وأن يفر من عقوبة النفى ، وسمع أبو محجن عن حرب القادسية المشتعلة بين المسلمين والفرس فى السنة الثالثة عشرة من الهجرة ، فتوجه صوب القادسية لكى يشترك فى المعركة ، وبلغ أمير المؤمنين عمر خبره ، فكتب إلى قائد جيش المسلمين سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه يأمره بحبسه ، فحبسه وقيده ، وكان هذا اليوم يوم (أرماث) من أيام

---

(٥) سورة التوبة الآية ٤٠ .

القادسية ، ويذكر الطبرى فى تاريخه : أنه كان شديد القتال على المسلمين ، فصعد أبو محجن وهو يرسف فى قيده إلى سعد يستعفيه من هذه العقوبة لكى ينضم إلى صفوف المقاتلين ، فنهره سعد ، فنزل إلى سلمى(٦) زوجة سعد ، وطلب منها أن تخلى سبيله ، وتعطيه الباقاء فرفضت ، فرجع يرسف فى قيوده ، واشتد الحزن بأبى محجن الثقفى ، فأنشد هذه الأبيات يحملها زفرات الأليمة لحرمانه من الجهاد فى سبيل الله ، ويتطلع إلى من يطلقه ليشترك فى المعركة ، قائلا بكل صدق وإخلاص وعاطفة حارة ومشاعر فياضة بالألم القوى والضيق الشديد :

كفى حزنا أن تلتقى الخيل بالقنا
وأترك مشدودا على وثاقيا
إذا قمت عنانى الحديد وغلقت
مصارع دونى قد تصم المناديا
حبست عن الحرب العوان وقد بدت
وإعمال غيرى يوم ذاك العواليا
ولله عهد لا أخيس بعهده
لئن فرجت ألا أزور الحوانيا

وسمعت سلمى وأشفقت عليه ، وأطلقت سراحه بعد أن عاهدها إذا من الله عليه بالنجاة أن يرجع ويضع القيد فى رجليه ، كما يذكر

---

(٦) سلمى بنت حفصة : كانت زوجة القائد العربى المثنى بن حارثة الشيبانى فلما توفى فى معارك فارس متأثرا بجراحه قبيل موقعة القادسية تزوجها سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه .

صاحب الأغانى ، حيث قالت له سلمى : قد استخرت الله ورضيت بعهدك ، وأعطته الفرس البلقاء ، وعاهدها على الوفاء ، ووضع اللثام على وجهه ، وقاتل ببسالة وبطولة وإقدام ، استولت على مشاعر الرجال ، وعلى إعجابهم ، لدرجة أن سعدا قائد الجيش قال وهو ينظر إليه : الطعن طعن أبى محجن ، والضبر ضبر البلقاء(٧) ، فلم يزل يقاتل حتى انتصف الليل ، وأقبل أبو محجن حتى دخل القصر ، ووضع عن نفسه ودابته ، وأعاد رجليه فى القيد ، وعلم سعد بن أبى وقاص من زوجه بخبر أبى محجن ، وكان أن وقف بنفسه على بطولته وشجاعته وصدقه فى عهده ، وخلى سبيل أبى محجن وعفا عنه ... »(٨) .

وقد قدر لأبى محجن أن يشترك فى هذه المعركة التى أبلى فيها بلاء حسنا ، وسجل فيها أروع بطولة وأشرف جهاد فى سبيل الله تعالى ، بعد أن عاهد الله تعالى على ترك الخمر ، وقد بر بعهده ، فلم يذق الخمر طوال المدة الباقية من حياته .

ولا يدرى أحد عن أخباره بعد القادسية شيئا ، اللهم إلا خبر وفاته ، والأغلب أنه لم يعد بعد إشتراكه فى معركة القادسية ، بل تابع تطوافه فى بلاد فارس مع جيش المسلمين الفاتح حتى توفى أو أستشهد ودفن شمال غربى فارس بأذربيجان أو جرجان وذلك سنة ٣٠هـ تقريبا .

---

(٧) الضبر : جمع القوائم والوثب . والبلقاء : فرس سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه .

مقال للدكتور / على محمد طلب بعنوان (عهد وميثاق وفروسية نادرة) .

(٨) جريدة الجزيرة السعودية العدد ٧٩٢٠ فى ٥ يونية ١٩٩٤ .

وهناك أبيات أخرى لأبى محجن الثقفى ، يعلن فيها توبته عن شرب الخمر ، ويتوب توبة نصوحا ، ويعاهد الله ويشهده على ذلك قائلا :

أتوب إلى الله الرحيم فإنه
غفور لذنب المرء ما لم يعاود
ولست إلى الصبهاء يوما بعائد
ولا تابع قول السفيه المعاند
وكيف وقد أعطيت ربى مواثقا
أعود إليها والله ذو العرش شاهدى
سأتركها مذمومة لا أذوقها
وإن رغمت فيها أنوف حواسدى(٩)

أرأيت كيف كان تأثير الإسلام فى نفس أبى محجن ؟ فقد حوله إلى إنسان يقدم نفسه فداء للدعوة الإسلامية ، وحوله من إنسان يهتف ويقول بملء فيه : (ولست عن الصبهاء يوما بصابر) إلى إنسان يعاهد الله على ترك الخمر وعلى هجران حاناتها حيث يقول :

ولله عهد لا أخيس بعهده لئن فرجت ألا أزور الحوانيا

وهذه توبة أخرى يعلنها أبو محجن الثقفى فى أبياته الأخيرة ، فإن الله غفور لكل الذنوب والآثام ، ثم يؤكد أنه لن يعود إلى الخمر مرة أخرى ، ولا يتبع قول السفيه المعاند ، وكيف يعود إلى الخمر وقد أعطى

---

(٩) ديوان أبى محجن الثقفى ص ٣٥ .

ربه المواثيق والعهود ؟ ، والله مطّلع على كل شيء ، وقد وفى بما عاهد عليه الله ، وكان وفيا لميثاقه صادقا فى عهده ، طوال المدة الباقيـــة من حيـــاته .

جـــو النص :

قلنا أثناء التعريف بالشاعر أنه أدمن الخمر وأقام عليه الحد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وتكرر الحد عليه عدة مرات ، ولمـــا لم يفلح الحد والجلد نفاه أمير المؤمنين إلى جـــزيرة نائيـــة ، واستطاع بالحيلة والدهاء أن يفر من النفى الذى ضاقت به نفسه ، بعد أن سمع بالحرب بين الفرس والمسلمين ، فوجدها فرصة يتخلص بها من النفى ويشارك فى الجهـــاد ، ولكن ســـعد بن أبى وقاص قائد جيش المسلمين علم بأمره فأسره وحبسه فى داره ، بعد أن كباه بالحـــديد ، واشتد الحزن بأبى محجن ، فأنشد هـــذه الأبيات يحملها زفراته لحرمانه من الجهاد فى سبيل الله تعالى ، ويقف مكتوف اليدين موثوق الأعضاء فى سجنه لا يمكن من حـــرب ولا يسمح له بالقتال ، ويتطلع إلى من يطلقه ليشترك فى المعركة ، فكانت هـــذه الأبيات سببا فى إطـــلاق سراحه ، وفى اشتراكه فى هـــذه الحـــرب التى ســـجل فيهـــا أروع بطولة(١٠) . وأبلى بلاء حسنا ، وخلد اسمه بين الأبطال والمجاهدين .

---

(١٠) انظر : من النصوص الأدبية فى الجاهلية والاسلام للدكتور مصطفى يونس ص ١١١ ط الفجر الجديد القاهرة ١٩٨٢ .

النـــص :

يقول أبو محجن الثقفى يعاهد الله تعالى ويتطلع إلى الجهاد :

١ ـ كفى حزنا أن تلتقى الخيل بالقنـــا
وأتركَ مشدودا على وثاقيـــا

٢ ـ إذا قمت عنانى الحـــديد وغلقت
مصـــارع دونى قد تصم المناديا

٣ ـ وقد كنت ذا مـــالٍ كثـــير وأخـــوة
فقد تركونى واحـــدا لا أخا ليـــا

٤ ـ وقد شـــف نفسى أننى كل شـــارق
أعالج كبلا مصمتا قـــد برانيـــا

٥ ـ فللـــه درى يوم أترك موثقـــا
وتذهـــلَ عنى أسرتى ورحاليـــا

٦ ـ حبست عن الحـــرب العوان وقد بدت
وإعمالُ غيرى يوم ذاكَ العواليـــا

٧ ـ وللـــه عهـــد لا أخيس بعهـــده
لئن فرجت ألا أزور الحوانيـــا

٨ ـ هلم ســـلاحى لا أبالـــكَ إننى
أرى الحرب لا تزدادُ إلا تماديا(١١)

---

(١١) ديوان أبى محجن الثقفى تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ص ٣٧ وما بعدها ط دار الكتاب الجديد بيروت ١٩٧٠ .

شرح المفـــردات :

١ ــ القنا : الرماح جمع قناة • مشدودا : مربوطا بقوة •

الوثاق : ما يشد به الأسير من حبل أو جلد ونحو ذلك •

٢ ــ قمت : حاولت القيام • عنانى : أتعبنى وأثقلنى • غلقت : أقفلت • مصارع جمع مصراع وهو شطر الباب • دونى : أمامى ، تصم المناديا : تسكت صوته وتحجبه •

٣ ــ واحدا : حال أى تركونى حال كونى واحدا •

٤ ــ شف نفسى : أضعفها يقال : شف نفسه إذا رق من الهزال والنحول ، كل شارق : كل طلـــوع شمس • أعالج : أصـــارع • كبلا : قيدا • مصمتا : محكما لا فرجة فيـــه • يرانى : أى نال من جســـمى بالهزال والنحول •

٥ ــ لله درى : أسلوب مدح يراد فيه التعجب يقال لله در فلان ، الدر : اللبن والمعنى أن اللبن الذى شب عليه جسمه ونمـــا به منسوب إلى الله تعالى • موثقا : مشدودا بحبل قوى •

تذهل عنى : تسلو أو تنسى لشغل • الرحال جمع رحل ويقصد بها المســـكن •

٦ ــ العوان : الشديدة أو الحرب امتد زمانها وتكررت معاركها • بدت : ساء نتاجها • العواليا : جمع عاليـــة وهى نصف الرمح مما يلى السنان •

٧ ــ العهد : اليمين • أخيس : أغدر وأخون • لئن فرجت : أى

أخرج من سجنى وتعود إلى حريتى • الحوانى : محالّ الخمور جمع حـــانة •

٨ ــ هلم : أى أقبل • لا أبالك : أسلوب يستعمل فى المـدح أو الـــذم •

الأفكار التى يدور حولها النص :

١ ــ زفرات متتابعة وأنات حزينة •

٢ ــ تصوير لآلام الشاعر وتذكار لذكرياته •

٣ ــ رغبة فى الخلاص وتطلع إلى الجهاد •

٤ ــ عجب الشاعر من بقائه موثقا وغيره ينالّ شرف القتالّ •

٥ ــ عهد لله تعالى أن يبتعد عن شرب الخمر إذا فرجت أزمته •

المعنى العـــام :

يضيق أبو محجن الثقفى بسجنه ويحن لميدان القتالّ حيث يحوز غيره الشرف والمعالى ، فيقول فى الأبيات (١ ــ ٤) : إنه فى حـزن زائد وألم شديد وأسى قاتل ولوعة قاسية أن يرى المعـارك تحتـدم والحرب تشتعل والرماح تتشابك ، ويرى نفسه حبيسا مقيدا لا مكان له فى الميدان لبعلى كلمة الحق والإيمان فوق كل مكان ، وأنه إذا شـاء أن يقوم للحرب يحال بينه وبين ذلك : تلك القيـود من حـديد والتى أثقلوه بها ، ومنعته كذلك أبواب السجن المغلقة فى وجهه ، فلم يجـد سبيلا إلى الحرب أو طريقا إلى القتالّ ، ثم يتذكر الشاعر أنه كان ذا مالّ وفير وأهل وأخوة وأصدقاء ، فضاع المـالّ وهرب الأهلّ وفر الأصدقاء،

وأصبح اليوم وحيدا يعانى من الوحدة والفقر والوحشة وعدم الأنيس والجليس • وقد شف نفسه وأرهقها وأتعبها السجن ، فكل يوم تشرق فيه الشمس يمارس القيـد الذى لا فرجة فيه ، والذى براه ونال من جسمه بالهزال والنحول •

ثم أخذ الشاعر فى الأبيات (٤ ـ ٨) يمدح نفسه ويعجب من بقائه سجينا موثقا ، وغيره ينال شرف الجهاد فى سبيل الله ، ويحـوز المعالى والشرف ، وفى الوقت نفسه ينساه أهله وعشيرته وقومه الذين كان يعتز بهم ويفخر ، ويمنعونه من كل أذى أو سوء ، ثم يعاهد الله عهدا لا حنث فيه لئن فرجت أزمته وخرج من سجنه وعادت إليه حريته ليهجرن الحانات ، ويبتعد عن شرب الخمر ، وأخيرا يعاوده الأمل فيخاطب سلاحه قائلا : أقبل يا سلاحى فإننى أرى الحرب لا تزداد إلا تماديا وضراوة وشدة •

دراسـة وتحليل ونقـد :

١ ـ ألفاظ النص ألفاظ قوية جزلة تتلاءم مع الفكرة ، فهى ألفاظ دالة على الحزن والأسى والألم الشديد واللوعة القاسية ، ينعى من خلالها حظه النكد الذى قضى عليه أن يعيش بين غياهب السجن ، وأن يحال بينه وبين شرف الجهاد فى سـبيل الله ، لكى يعلى راية الحـق والإيمان فوق كل مكان ، ويبرم عهدا مع الله تعالى لئن قدر له أن تزول هـذه الغمة فلن يرجع إلى الخمر مرة أخرى ، وانتقاء الألفاظ إنما جاء عفو الخاطر وبلا كد للذهن وإجهاد للخاطر مثل : حـزنا ـ أترك ـ مشدودا ـ وثاقيا ـ عنانى ـ غلقت ـ مصارع ـ تصم ـ شف ـ

أعالج ــ كبلا ــ مصمتا ــ برانيا ــ موثقا ــ وتذهل ــ حبست ــ العوان ــ لا أخيس ــ فرجت ــ الحوانيا ، وغيرها من الألفاظ المعبرة عن الألم والحزن والأسى •

٢ ــ كما أجاز الشاعر استعمال الأساليب المناسبة ، فقد بدأ القصيدة بقوله « كفى حزنا » فقد جعل التقاء الخيل بالقنا سببا لحزنه الشديد ، وكأنه يدفع عن نفسه اللوم لما علاه من سمات الحزن ، وتضعيف الفعل (غلق) يوحى بشدة إحكام الاغلاق للأبواب ، ثم فى اختيار إذا أداة للشرط فى قوله (إذا قمت) يفيد توقع الجواب ، ثم فى اختيار كلمة (مصارع) الدالة على العنف والقوة ، وفضلها على كلمة (الأبواب) فهذه اللفظة أخف على السمع ، ولكنه فضل عليها مصارع لأن الموقف يحتاج إلى القوة والعنف والشدة •

وفى الأبيات كثير من الأساليب الخبرية الدالة على الحزن والحسرة والألم التى أحس بها أبو محجن ، ومن ذلك قوله « كفى حزنا » وقوله « قمت عنانى الحديد » وقوله « غلقت مصارع دونى » وقوله « وقد كنت ذا مال كثير وأخوة » وقوله « تركونى واحدا لا أخاليا » ، وقوله « شف نفسى أننى كل شارق » وقوله « حبست عن الحرب العوان » وغيرها من الأساليب الخبرية الدالة على الأسى والحزن والحسرة •

واستخدم الشاعر أساليب القصر منها قوله : « لله درى » قصر طريقه التقديم حيث قدم الشاعر المسند على المسند إليه ، وقوله أيضا : « لله عهد » أسلوب قصر طريقه التقديم أيضا ، حيث قدم المسند على المسند إليه ، والقصر أبلغ المؤكدات كما نعلم •

٣ ـ وأنت تلمس فى النص حرارة العاطفة والتجربة الشعورية التى عاناها الشاعر مع صدق النفس والشعور والوجدان ، بسبب نفيه وأسره ، وحرمانه من الجهاد فى سبيل الله ، فقد خضع الشاعر لعاطفة مزيجها الألم القوى والحزن الزائد والضيق الشديد ، ولاسيما ألمه الشديد لحرمانه من الاشتراك فى حرب القادسية ، وهو الفارس الشجاع المغوار ، والمعارك تحتدم والخيول والرماح تتشابك ، ويرى نفسه أسيرا مقيدا بالأغلال لا يمكن من أداء واجبه نحو دينه وإسلامه ، وقد اختار من العبارات ما يبرز هذه العاطفة القوية تلمس ذلك فى قوله : « كفى حزنا ـ وأترك مشدودا ـ عنانى الحديد ـ غلقت مصارع دونى ـ قد تصم المناديا ـ تركونى واحدا لا أخا لىا ـ شف نفسى ـ أعالج كبلا ـ تذهل عنى أسرتى ورحاليا ـ حبست عن الحرب العوان » وغير ذلك من العبارات الدالة المفعمة بالحزن والأسى والحسرة والندامة(١٢) .

٤ ـ النص يغلب عليه استخدام الكناية ، ويكاد يخلو النص من التشبيهات والاستعارات ، والكنايات تبرز المعنى وتسوق عليه الدليل ، فها قوله : « تلتقى الخيل بالقنا » كناية عن إلتحام المعركة ، وقوله « وأترك مشدودا على وثاقيا » كناية عن تقيده بقيد شديد ، وقوله « عنانى الحديد » كناية عن شدة القيد ، وقوله : « غلقت مصارع دونى » كناية عن حبسه فى غياهب السجن ، وفى قوله : « تصم المناديا » كناية عن عدم الاستجابة لندائه ، وقوله : « وقد كنت ذا مال

---

(١٢) انظر : فى النصوص الأدبية فى الجاهلية والاسلام ص ١١١ وما بعدها .

كثير وأخوة » كناية عن السعادة بالمال والعزة فى قومه ، وقوله : « تركونى واحدا لا أخا ليا » كناية عن الهجر والقطيعة ، وفى قوله : « تذهل عنى أسرتى » كناية عن النسيان ، وقوله : « لا أزور الحوانيا » كناية عن التوبة وترك شرب الخمر ، وفى قوله « لا أبالك » تعبير كنائى يفيد المدح أو الذم ، فهو فى مقام المدح أن المخاطب لا نظير له إذا لو كان له أب لكان له أخ يماثله ، وفى مقام الذم على معنى نفى نسبه فهو خسيس دنىء .

أما قوله : « أعالج كبلا مصمتا » ففيه استعارة مكنية ، فقد شبه القيد الذى لا فرجة فيه بالبناء ، وحذف المشبه به ورمز إليه بكلمة مصمت .

كما شبه الشاعر الحرب وكثرة شرورها بالحيوان الذى يلد مرة بعد أخرى فيكثر نسله ، ثم حذف المشبه به ورمز له بالعوان فى قوله : « حبست عن الحرب العوان » ، وهو يذكرنا بقول عنترة بن شداد العبسى(١٣) .

أنا فى الحرب العوان غير مجهول المكان
أينما نادى المنادى من دجى النقع يرانى

وأما فى قول الشاعر : « وتذهل عنى أسرتى ورحاليا » : فى كلمة « رحالى » مجاز مرسل علاقته المحلية ، أطلق فيه المحل وأراد الحال (أهل البلد) فالعلاقة المحلية ، والقرينة استحالة الذهول للرحال .

---

(١٣) شرح ديوان عنترة ص ١٤٠ ط دار الكتب العلمية بيروت١٩٨٥

٥ - الموسيقا فى النص ظاهرة فى الوزن الشعرى ، وقد اختار الشاعر بإلهامه بحر الطويل الذى يتسع لآلامه وأحزانه وشكواه ، وقد عرف عن هذا البحر بأن ثلث الشعر تقريبا قد جاء فيه ، ولذلك كان من أصلح البحور للنفس الطويل وخلجات النفس والوجدان ، ومشاعر الحزن والألم والشكوى ، ولقد أجاد الشاعر استخدام الموسيقا الملائمة للشكوى ، فقد اختار القافية الممثلة فى الياء الممدودة وألف الإطلاق ، وهى أقوى فى إبراز لوعته وأنينه ، إلى جانب ما أتى من عبارات ملائمة للغرض الذى كانت فيه هذه الأبيات ، أما الموسيقا الخفية التى تثير فى النفس كثيرا من المشاعر والأحاسيس فهى نابعة من حسن انتقاء الألفاظ للجو النفسى المشحون بالحزن والألم ، ومن براعة التنسيق وتسلسل الأفكار وجمال التصوير .

٦ - تبدو فى هذه الأبيات آثار الإسلام فى نفس أبى محجن(١٤) الثقفى ، فقد حوله الإسلام إلى إنسان يقدم نفسه فداء للدعوة الإسلامية ، لاعلاء كلمة الله ونشرها فى كل مكان ، وقد عز عليه أن تشب الحرب وتدور معركة القادسية ، ويقف مكتوف اليدين موثق الأعضاء فى غياهب السجن لا يمكن من الحرب وأداء الواجب فى سبيل الله تعالى ، ولا يسمح له بقتال لاظهار بطولته وفروسيته وشجاعته التى كانت مضرب الأمثال ، كما تظهر آثار الإسلام فى ذلك العهد الذى كان بينه وبين الله تعالى والذى قطعه على نفسه ليهجرن الحانات إذا ما قدر

---

(١٤) ورد فى لسان العرب لابن منظور الأفريقى فى مادة « حجن »:
المحجن والمحجنة : العصا المعوجة ، ومحجن الطائر : منقاره لاعوجاجه ، واحتجن الشىء : احتوى عليه .

له أن يخرج من سجنه ، وذلك إذعان لتلك القوة الخفية التى ملكت عليه إرادته واستولت على عقله وفؤاده ، وهى قوة العقيدة الكامنة فى القلوب والراسخة فى الأفئدة .

٧ ــ يعيب بعض النقاد أن أبا محجن الثقفى استعمل أسلوب المدح (فلله درى) فى البيت الخامس وهم يرون أن المقام مقام الألم والأسى والحسرة ، ولا يتطلب مدحا ولا ثناء ، وكان الأجدر والأجدى به أن يستخدم أسلوبا آخر يدل على الأسى والحسرة والألم ، وكان يمكنه أن يقول : فلله أمرى ، أو فلله أشكو ونحو ذلك .

٨ ــ يعد هذا النص صورة صادقة للشعر الإسلامى المعبر عن الجهاد فى سبيل الله ، والذى تبدو فيه سمات الشعر الإسلامى ماثلة للعيان ، فقد جمع إلى نبل الغرض وهو الحنين إلى ميدان القتال فى سبيل إعلاء كلمة الله ، وضوح الفكرة وجلائها وسهولة العبارة وسلاستها وجودة التعبير وجمال التنسيق وقوة التأثير العاطفى ، والاقتصاد إلى حد كبير فى الصور والأخيلة ، ومخاطبة الإحساس والمشاعر والأفئدة .

فالشاعر يصور نزعة من نزعات الأبطال الفوارس ، ويوضح جانبا من جوانب الحرص على الجهاد لاعلاء كلمة الله تعالى فى كل مكان ، ويبين إلى أى مدى يتألم المجاهد إذا ما حيل بينه وبين الجهاد ، وذلك يبرز فى وضوح تأثير العقيدة الإسلامية فى نفوس المسلمين .

تعليق عام على النص :

١ ــ يشير النص إلى ما كان يتميز به أمير المؤمنين عمر بن الخطاب

رضى الله عنه من حزم وقوة فى الحق ، وحرص على إشـــاعة روح الإسلام بين صفوف المسلمين ، فسيدنا عمر مع حبه للشعر وتذوقه له ، لم يعف الشعراء من العقوبة والحد إذا فرطوا فى حق دينهم ، وارتكبوا أخطاء فى حق المجتمع الإسلامى ، فقد حـــد وسجن أبا محجن الثقفى ونفاه إلى إحدى الجزر النائية لادمانه شرب الخمر ، وعاقب الحطيئة عقابا صارما لهجاء الزبرقان بن بدر ، حتى أناب إلى الله ورجع عن هجاء المسلمين ، وهكذا كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب مثالا للحاكم المسلم العادل اليقظ الراعى لأمور المسلمين ، ورمزا للحكومة الإسلامية العادلة القـــوية .

٢ ــ إذا أمعنا النظر فى هـــذا النص نجده أنه نموذج عال من نماذج التربية الإسلامية ، ويؤكد مبدأ من المبـــادىء التى اتفق عليهـــا أصحاب التربية الحديثة هى : مبدأ العقوبة لمن أساء ، والعقوبة فى نظر الإسلام ليست انتقاما من المسىء بقدر ما هى تهذيب لنفسه وإصلاح لشأنه وإيقاظ لضميره وتأديب لذاته ، ولذا فقد جاءت عقوبة أمير المؤمنين عمر لأبى محجن دواء لنفسه المريضة ويقظة لضميره الغافل ، وإيقاظا لنزعته اللاهية(١٥) .

وقد أثمرت تربية أمير المؤمنين فى نفس أبى محجن ، فحولته إلى إنسان يتطلع إلى الجهاد فى سبيل الله ، ويتمنى الخلاص من القيـــد

---

(١٥) انظر : فى النصوص الأدبية فى الجاهلية والاسلام ص ١١٤ وما بعدها .

والأسر ، وجاء هـذا العهد الذى قطعه مع الله تعالى ، إذا فـرج الله كربته ليهجرن الحانات ويبتعد عن شرب الخمر ، وقد بر بعهده فلم يذق الخمر مرة أخرى ، طوال المدة الباقية من حياته .

(والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله) ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ؟

أ.د/ على محـمد طلب
أسـتاذ الأدب والنقـد
ووكيل كليـة اللغـة العربية بأسـيوط